المقالة الرابعة والستون

لماذا أنت صعب المراس؟

شِبتَ وعُرامُك ما وَخَطَ[١] عارضيه مَشيب، وشختَ وغرامُك رداءُ شبابه قشيب[٢]، ما لي أراك صعب المراس جامحَ الرأس، كأنَّ وافدَ المشيب لم يَخْطِمْكَ، وكأنَّ ارتقاء السِّنِ لم يحطِمْك، الشيخوخةُ تكسبُ أهلَها سَمْتاً وأنت ما أكسبتْكَ إلا أمتاً[٣]، لو علمتَ أيَّ وفدٍ[٤] حلَّ بفودك لتبرقعْتَ حياءً من وَفدِك، ولكنَّ مُحيَّاكَ لم يتعلَّم الحياءَ ولم يتهجَّ من حروفه الحاء ولا الياء[٥]، تَثِبُ إلى الشر كما تَثِبُ الظباء، وتلهثُ إلى اللهو كما يلهثُ الظِّماء، إن حَمْحَمَ الباطلُ فأسمعُ مِنْ سِمْعٍ[٦]، وإنْ هَمْهَمَ الحقُّ فكأنَّك بلا سَمْعٍ، حَمَلْتَ نفسَكَ على الرِّياضاتِ وهيَ رَيِّضَةٌ، ومن يحتلِبُ اللِّبَاءَ من اللبوة المُغَيّضة.

(١) العرام: سواد مختلط ببياض، وخط: خالط.
(٢) قشيب: جديد.
(٣) أي ضعفاً ووهناً.
(٤) الوافد هنا الشيب.
(٥) كناية عن الحياء الذي لا يعرفه.
(٦) السِمْع: ولد الذئب من الضبع.